

في نور محمد فاطمة الزهراء

والقلب والوجدان ... بل تشهد له بشهادة كينونتها الحيّة، وسلوكها الفطري الصادق، إذ هي بضعة من كيانه المادي والمعنوي كما خلقه الله. فحين تصف كتاب الله بأنّه «قرآن كريم» فإنّما يجري الوصف على كلّ سورة، وكلّ آية، وكلّ كلمة فيه: إنّك لتصفه جملةً وتفصيلاً، فروعاً وأصولاً، ولا تستطيع أن تختصّ بالوصف جانباً منه، وتحجبه عن آخر: قليل أو كثير، فصّة الفرع من صفة الأصل، وصفة الجزء من صفة الكلّ. وفاطمة بضعة من محمد ... يؤذيه ما آذاها، ويسرّه ما سرّها. وتغضب فيغضب لغضبها الله، وترضى فيرضى الله ... وهل يغضب سبحانه إلّا لمن آثره واجتباها إذ اتّقى فاحسن تقواه؟ إنّها كانت لسجّاء أبيها مرآة. فلا تفاوت بينهما في الصفات الكمالية إلّا بمقدار التفاوت بين نبيّ رسول وبين قدّيسة بتول، هذا للبلاغ والإرسال وتلك للتلقّي والاستقبال. * * * ثم كانت تشهد له أيضاً بشهادة الله، وبشهادة الوقائع والأحداث ... بل بشهادة الأعداء الألداء قبل شهادة الأحبّة الأولياء. فربّه يقول للعباد: (لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) [895]. ويصفه وصف عليم لا تخفى عليه خافية ممّا تُكنّ السرائر وتكتم الصدور: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [896]. وينطقه الله، فيقول عليه الصلاة والسلام: «إنّما بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق» [897].